مجلة الباحث
موقع المجلة: https://journals.uokerbala.edu.iq/index.php/bjh/

# سرديات العنف والخراب في رواية أعياد الخفاش لوحيد غانم

م.م. منتظر ماجد كريم
جامعة سومر- كلية الطب
MuntazerMajid@uos.edu.iq

| التخصص العام للبحث: اللغة العربية | التخصص الدقيق للبحث: الأدب |
|---|---|

**معلومات الورقة البحثية**

**الكلمات الرئيسية:**

*السرديات،العنف، الخراب، اعياد الخفاش، وحيد غانم.*

**المستخلص باللغة العربية:**

تتناول هذه الدراسة رواية «أعياد الخفاش» لوحيد غانم بوصفها نصًا سرديًا يعكس واقعًا مشحونًا بالعنف والخراب. وتركّز على تحليل الكيفية التي تجلّت بها هذه الثيمات داخل البنية السردية للرواية، سواء على مستوى المكان أو الشخصيات أو اللغة. تنطلق مشكلة البحث من تساؤلات حول آليات تمثيل العنف، وهل هو مجرد انعكاس للواقع أم بنية فنية مقصودة. كما تبحث في دور السارد في تشكيل رؤية قاتمة للعالم، إذ يتداخل الواقعي بالمتخيّل في تصوير مشاهد الدمار. وتبرز أهمية الدراسة في كونها تسلّط الضوء على نص معاصر يعكس تحوّلات إنسانية عميقة. وتهدف إلى الكشف عن الأبعاد الجمالية والدلالية للعنف والخراب في الرواية. كما تسعى إلى تحليل العلاقة بين الذاكرة والمكان في إنتاج هذا الخطاب المأزوم. وتخلص إلى أن الرواية تقدّم العنف بوصفه حالة وجودية شاملة، لا تقتصر على الحدث بل تمتد إلى وعي الإنسان.

doi: https://doi.org/10.63797/bjh.

## 1- المقدمة:

تُعدّ رواية «أعياد الخفاش» للكاتب وحيد غانم من النصوص السردية العربية المعاصرة التي تنشغل بتمثيل تحوّلات الواقع المأزوم، إذ تتقاطع فيها ثيمات العنف والخراب مع أسئلة الوجود والهوية والذاكرة. وتنهض هذه الرواية على بنية سردية مركّبة تستثمر التداخل بين الواقعي والمتخيّل، لتكشف عن عالمٍ تتآكل فيه القيم، وتتلاشى فيه الحدود بين الحياة والموت، في ظلّ حضور كثيف لصور الدمار والانهيار الإنساني. ومن هذا المنطلق، تأتي هذه الدراسة لتسليط الضوء على كيفية تشكّل ثيمتي العنف والخراب في النص الروائي، وتحليل تمثّلاتهما على مستوى السرد والبناء الفني.

وتتمثّل مشكلة البحث في التساؤل الرئيس الآتي: كيف عالجت رواية «أعياد الخفاش» ثيمتي العنف والخراب سرديًا؟ وما الآليات الفنية التي اعتمدها الكاتب في تجسيد هذا العالم المأزوم؟ ويتفرّع عن هذا التساؤل عدد من الإشكاليات الفرعية، منها: ما طبيعة العلاقة بين العنف بوصفه حدثًا واقعيًا، والعنف بوصفه بنية سردية؟ وكيف يتجلّى الخراب في الفضاء الروائي (المكان، الجسد، الذاكرة)؟

وهل يقدّم النص رؤية نقدية للعنف أم يكتفي بإعادة إنتاجه فنيًا؟ كما تثير الدراسة تساؤلات حول دور السارد في تشكيل هذا العالم، ومدى تأثير الرؤية الذاتية في توجيه دلالات النص.

وتكمن أهمية هذا البحث في كونه يتناول نصًا روائيًا يعكس جانبًا مهمًا من التجربة الإنسانية في سياق معاصر يتّسم بالاضطراب والصراعات، الأمر الذي يجعل من دراسة العنف والخراب ضرورة لفهم البنية العميقة للنصوص السردية الحديثة. كما يسهم البحث في الكشف عن التقنيات السردية التي يوظّفها الكاتب في بناء عالمه الروائي، مثل التداخل الزمني، والتشظي، واللغة الكثيفة ذات الطابع التصويري. وتنبع أهمية الدراسة أيضًا من قلة الدراسات النقدية التي تناولت هذه الرواية تحديدًا، مما يمنحها بعدًا إضافيًا في إثراء الحقل النقدي العربي.

أما أهداف البحث فتتمثّل في: تحليل تمثّلات العنف والخراب في الرواية، والكشف عن الأبعاد الدلالية والجمالية لهاتين الثيمتين، ودراسة دور السارد في تشكيل الرؤية السردية، فضلًا عن رصد العلاقة بين المكان والذاكرة في إنتاج خطاب الخراب. كما يهدف البحث إلى بيان كيفية توظيف اللغة والصورة الفنية في تعميق الإحساس بالمأساة، واستكشاف البعد الرمزي للعنف بوصفه حالة وجودية تتجاوز حدود الحدث الواقعي. ويسعى كذلك إلى إبراز موقف الكاتب من الواقع المعيش، ومدى انعكاسه في البنية السردية للنص.

وبناءً على ما تقدّم، فإن هذه الدراسة تحاول مقاربة رواية «أعياد الخفاش» بوصفها نصًا مفتوحًا على تأويلات متعددة، إذ لا يقتصر العنف فيها على كونه ظاهرة اجتماعية، بل يتحوّل إلى بنية جمالية ورؤية فكرية تعكس قلق الإنسان المعاصر،كشف عن هشاشة العالم الذي يعيش فيه.

**المبحث الأول: مفاهيم البحث**

تمثل رواية "أعياد الخفاش" للكاتب العراقي وحيد غانم علامة فارقة في سرديات ما بعد الحرب، ليس فقط لكونها توثق أهوال العنف الذي ضرب العراق، بل لقدرتها الفريدة على تحويل "الرفات" و"الخراب" إلى مادة فلسفية وأنطولوجية تسبر أغوار الكينونة البشرية في أقصى حالات استلابها. إن هذا العمل، الذي صدرت طبعته الجديدة عن منشورات غاف عام 2022، يحمل في طياته "إضاءة" تفسيرية وضعها المؤلف لبيان أسباب عودته للظهور بعد أن بقيت سنوات مدفونة مثل رفات متروكة في العراء. هذه العودة لا تمثل مجرد إعادة نشر، بل هي انبعاث لنص يرفض النسيان، تماماً كما ترفض العظام والجماجم التي تسكن صفحاته أن تتلاشى دون أن تروي حكايتها (الفواز، 2021: 21).

**وحيد غانم:**

يُعدّ وحيد غانم من الأصوات السردية العراقية المعاصرة التي برزت في السنوات الأخيرة، إذ اهتمّ بكتابة الرواية ذات الطابع الواقعي–الرمزي، مركّزًا على تمثيل التحوّلات الاجتماعية والنفسية في بيئات مضطربة. ينتمي إلى جيل من الكتّاب الذين عايشوا آثار الحروب والصراعات، وهو ما انعكس بوضوح في أعماله من خلال حضور ثيمات العنف، والخراب، والذاكرة، والهوية.

اشتهر غانم بروايته «أعياد الخفاش» (2022) التي شكّلت محطة بارزة في تجربته الأدبية، إذ قدّم فيها عالمًا سرديًا قاتمًا يمزج بين الواقعي والمتخيّل، معتمدًا لغة كثيفة مشحونة بالصور

والانزياحات. وتدور أعماله عمومًا حول الإنسان المهمّش، وتفكك البنى الاجتماعية، وتحولات المكان في ظلّ الأزمات. أسلوبه السردي يتسم بـ:

- الاعتماد على السرد النفسي الداخلي
- توظيف الصور المرعبة والرمزية
- بناء فضاءات يغلب عليها الخراب والتشظي
- استخدام لغة أدبية مكثفة ذات بعد شعري

ويمثّل وحيد غانم نموذجًا للروائي الذي يوظّف السرد للكشف عن أزمات الإنسان المعاصر، إذ تتحول الكتابة لديه إلى أداة لفضح العنف واستنطاق الخراب، لا مجرد حكاية أحداث.

أهم أعماله:

الروايات

1 .المراسيم القديمة

2 .أعياد الخفّاش (2022)

3 .الحلو الهارب إلى مصيره (2016)

4 .الأميرة في رحمة طائر العقل

5. أيام فاقد الحب (يُذكر ضمن أعماله

6. إضافة إلى كتابات قصصية وأعمال سردية أخرى أقل تداولًا.

**رواية اعياد الخفاش:**

يذكر وحيد غانم في روايته اعياد الخفاش " اكتملت هذه الرواية قبل سنوات، ووُلِدَت في لحظةٍ مهمومةٍ، تائهةٍ، ولادةً مَسخ، كائنٍ رماديّ، في ظَرفِ استثنائيّ، وهي نِتاج صورةٍ جلبها أحدُ الصّحفيّين يومًا ما، التَقَطها لمكانٍ انتأى عن الحياة ووضَعَها تحتَ نَظري.

كانت صورةً شاحبةً مَنقوصةً لما يُخلّفه الفَناء، وقد رُمِّمَ هذا النّقصُ نفسه فيما بعد بلُعبَةٍ لغويّة، كالعثورِ على بقايا قاموسٍ مُحتَرق. كان بإمكان هذه الرواية أن تظهرَ في أيِّ وقت، أيِّ زمن، سابقًا، الآن، مستقبلًا، بكينونةٍ لغويّة ما.

بينما يظهر خطابها القاسي باستغراقهِ في حُلمٍ، رغبةٍ دفينَةٍ بالفَناء، مُلامسةِ حدثٍ لن يتحقّقَ مهما توالَت الصّفحاتُ لذلك اكتفى بالإيجاز. ففي لحظةٍ ما تحكَّمَت الرّواية بمصيرها وصيّرتْ مُخيّلة المؤلِّفِ هنا مَحَضَ أداة، فالتّعاطفُ الاجتماعيّ يقعُ في مَنحى آخر لم يُمَسّ، وثمّةَ تحايلٌ على ما تخلّفُ من مناحَةٍ مَديدةٍ مُفزعَة للأهوال التي عصفَتْ بنا، بتفريغِها من معناها ومنحِها هيكلا رثائيًّا جافًّا، إذ فُنّدَ الخيال الحكائي.

أن يولَدَ النّصُ محاطًا بكثافةِ خَلقِهِ وكأنّه يتحكّمُ بمصيره السّردي، تلك الإرادةُ الخَفيَّةُ المتمرّدة، لا بدَّ ستنتهي إلى عقابِ المؤلف من قبَلِ شهود الحياة الباحثين عن المُتعة" (غانم، 2022: 5).

**جماليات الخراب في الرواية العراقية المعاصرة:**

تتجلى في الرواية "سردية الخراب الساحق" التي لا تتوقف عند حدود الوصف المادي للدمار، بل تتعداه لتشمل الخراب الروحي والزمني. إن وحيد غانم يضعنا في مواجهة مباشرة مع

"الرمم" و"الهياكل" التي فقدت ملامحها تماماً عبر حروب طحنت الملايين، محولاً الأرض العراقية برمتها إلى "مقبرة كبرى للعظام والجماجم". هذا التوجه السردي يعكس وعياً حاداً بمأساة الإنسان الذي يجد نفسه حارساً لماضٍ محطم، في مكان معزول على أطراف المدينة، إذ يلتقي الصمت بالريح الصفراء التي تسف في تجاويف الجماجم (حسن، 2024: 39).

**المبحث الثاني: وحيد غانم وتجربة الكتابة من داخل "المنطقة الرمادية":**

يعد وحيد غانم من الأصوات الروائية التي تميزت بلغة عالية وألفاظ منتقاة بعناية فائقة، لغة توازي في دقتها عمل بطل الرواية في جمع وتصنيف الرفات. إن مسيرته الإبداعية، التي شملت أعمالاً مثل "الحلو الهارب إلى مصيره" و"الأميرة في رحلة طائر العقل"، بلغت ذروتها في "أعياد الخفاش" (التي عُرفت سابقاً بعنوان "المراسيم القديمة"). هذه التجربة السردية تنبع من مكان قصي لا تعهد به الروايات التقليدية، فهي لغة "قادمة من المجهول"، صيغت كما لو كان الكاتب في حالة من التخدير أو الوعي الحالم، مما جعل النص يتلوى مثل دخان بين أصابع ساحر.

تعبر الرواية عن انفصال واتصال الأحداث في واقع يمثل فيه الراوي شاهداً وحيداً ومتفرداً. إن موقف وحيد غانم كأديب إذ يتحدد موقفه من الدمار الذي لحق بالعراق، لا سيما بعد عام 2003، إذ ساهمت الصراعات الخارجية والداخلية في تأجيج العنف وبذر شرارة الفتنة في جسد الوطن. الرواية هنا ليست مجرد حكاية، بل هي "خطاب عن الخراب" يتجاوز الأيديولوجيات الضيقة ليلامس الجوهر الإنساني المحطم (إسماعيل، 2023: 18).

يقول الراوي "أهيم على وجهي في أرضٍ بعيدةٍ قاحلة، ألتقط غصناً متيبّسًا، وأصغي لأصداء صيحاتٍ ضوارٍ تذكّرني بهدير محرّكات آلاتٍ حربيّة جبّارة...

...جيوش الحلفاء التي امتدّت كالحيّات، وتلوّت... وكأنها تعبر الأفق منبعثةً من حافة صورةٍ رماديّة لصراعٍ أبديّ...

...تشويهٌ متآكل، وإشعاعات مؤذية تحفره الأخاديد ويغضّن وجهه الأجرد سقوط الشهب. (غانم، 2022: ص 10–11) "

يعتمد السرد هنا على تقنية التصوير المخيف والمرعب، إذ يختلط الواقع بالحلم. الصحراء القاحلة تمثل فضاء الخراب، بينما تتحول الجيوش إلى كائنات زاحفة (كالحيّات)، في تشخيص للعنف بوصفه قوة بدائية مدمّرة. كما أن اللغة مشحونة بصور الانحلال (تشويه، إشعاعات، سقوط الشهب)، ما يعكس كونًا ما بعد كارثي يفقد فيه العالم توازنه. السارد لا يصف حدثًا فقط، بل يخلق إحساسًا وجوديًا بالعنف المستمر.

**السياق التاريخي والصدور المتكرر للعمل:**

| السنة | الحدث السردي / النشر | الناشر | الملحوظات | المصدر |
|---|---|---|---|---|
| 2014 | الصدور الأول (تحت عنوان المراسيم القديمة) | دار تموز / اتحاد الأدباء بالبصرة | لم تنل التوزيع الكافي وبقيت "حبيسة الأدراج" | |
| 2022 | الصدور الثاني (أعياد الخفاش) | منشورات غاف | طبعة جديدة مع "إضاءة" وتعديلات في العنوان | |
| 2023 | استمرار الانتشار والتداول النقدي | دار غاف | تعزيز حضور الرواية في المشهد الثقافي العربي | |

**بنية المكان: المستودع بوصفه فضاءً برزخياً:**

ينبني فضاء الرواية على مكان مركزي هو "المستودع"، وهو مكان معزول في الصحراء على أطراف المدينة. هذا المستودع ليس مكاناً وظيفياً لتخزين الرفات فحسب، بل هو "فضاء برزخي" تلاشت فيه الحدود بين الحياة والموت، وبين الماضي والحاضر. إن اختيار "أطراف الصحراء" كبيئة للأحداث يعزز الإحساس بالوحشة والعزلة، إذ تسكن الجماجم والرفات التي جُمعت من حروب سابقة، مئات البقايا التي خُزنت في أكياس معقودة ومختومة أو نُثرت في صناديق تفترش الأرضية.

المستودع في "أعياد الخفاش" هو مرآة للمدينة التي تحولت إلى "مقبرة جماعية". المكان يلقي بظلاله على أجساد الشخوص وأرواحهم، حتى يتماهوا معه تماماً. الريح التي تهب عبر فتحات "الجملون" تلامس قحف الرؤوس الناعمة، والريح الصفراء تسف الغبار فوق صفحات الذاكرة المنسية. هذا المكان هو "طرف الحياة"، إذ يتحول البحث عن الموتى إلى لوثة عقلية تصيب الناس الذين يطالبون بحقهم في استعادة بقايا ذويهم (عبد الرحمن، 2015: 34).

يقول الراوي "مكانٌ مهجور... بقايا ضحايا مجهولي المصير... تمتدّ كآبة الأشياء... مكانٌ له خصوصيّة...

...تحوم الجوارح في السماء... باحثةً عن بقايا جثثٍ مطمورةٍ في الرمل؛ ضحايا حروب...

...بقايا تختفي بعد حين كأنما تبتلعها آفة الأرض." (غانم، 2022: ص 11)

يُبنى هذا المقطع على سرد مكاني سوداوي، إذ يتحول المكان (المستودع والصحراء) إلى بؤرة للموت. الجثث ليست فقط بقايا، بل علامات على عنف مجهول المصدر. اختفاء البقايا يوحي بـ طمس الحقيقة والتاريخ، وهو عنصر مهم في الرواية. كما أن حضور "الجوارح" يعمّق الإحساس بأن العنف أصبح نظامًا بيئيًا كاملاً، لا حدثًا عابرًا.

**الموتى كأصدقاء والمكان كذات:**

في هذا الفضاء الموحش، يطور الراوي علاقة فريدة مع الرفات؛ فهو لا يراها مجرد عظام نخرة، بل يراها "أصدقاء أوفياء" لا يكذبون ولا ينافقون. إنهم "مطيعون ومؤدبون"، ينصاعون للأوامر ولا يثيرون أي ضجيج، مما يجعلهم أنيساً للراوي في وحدته الأبدية. هذه الأنسنة للرفات تعكس عمق "الاستلاب" الذي يعيشه الإنسان العراقي، إذ تصبح صحبة الموتى أكثر أماناً وطمأنينة من صحبة الأحياء في عالم موبوء بالعنف والفساد والضياع (حميد، 2020: 52).

يقول الراوي "كانت تحفظ فيه جثث الضحايا المجهولين... وبمرور الأعوام تحوّل إلى مكانٍ يضمّ رفات وبقايا بشر ورمَم مجهولة" (غانم، 2022: ص 12).

يقدّم النص تحولًا زمنيًا من حدث عنيف (الحروب) إلى حالة دائمة من الخراب. المستودع هنا ليس مجرد مكان، بل ذاكرة متحجرة للعنف. استخدام "مجهولين" يبرز فقدان الهوية، وهو أحد آثار العنف الكبرى. السرد مكثّف وبسيط، لكنه يكشف عن تراكم تاريخي للموت.

**شخوص الرفات: حراس الذاكرة المحطمة:**

تتحرك في الرواية بضعة شخصيات تعمل في المستودع وتعيش في مداره، وهم يمثلون طيفاً من الاستجابات الإنسانية للخراب الساحق. هؤلاء الأشخاص لا يعيشون حياة عادية، بل يحيون في "رغباتهم الخاصة ومطامحهم" التي تلامس وتهدد وجود المستودع نفسه (العزاوي، 2010: 40).

يقول الراوي" رأيتها... عاريةً في جحيمها... لا يسترها غير شرشفٍ رثٍّ... التصق بجلدها وتبقّع بالدهون...

...أزالت النار رموشها... وسُلخت البشرة... وكانت عيناها تنطفئان...

...كان يضغط بقوّة فينتعض جسمها وتدور عيناها في الفراغ." (غانم، 2022: ص 24–25).

هذا من أكثر المقاطع واقعيةً وقسوةً، إذ ينتقل السرد من الرمزية إلى التشريح الجسدي المباشر للعنف. الجسد المحروق يمثل ذروة العنف الفردي، مقابل العنف الجماعي في المقاطع السابقة. الوصف التفصيلي (سلخ، احتراق، دوران العينين) يخلق صدمة حسّية للقارئ، ويُظهر كيف يتحول الإنسان إلى "مادة". كما يكشف عن لامبالاة السارد النسبيّة، ما يعكس تبلّد المشاعر نتيجة التعرّض المستمر للعنف.

**الراوي: الكائن الأبدي المستلب:**

يبدو الراوي وكأنه يحيا في "زمن أبدي"، بعيداً عن أي إحساس إنساني تقليدي. إنه الشخص الذي يألف "حطام الموت" وصفير الريح في تجاويف الجماجم، حتى ليخال له أنه يستمع لـ "عزف على آلة خربة". الراوي يعاني من حالة "الاستلاب" التام، إذ أصبحت هويته مرتبطة بملمس القحف والجماجم الملساء، مما جعله يرى العالم الخارجي من خلال عدسة الموت. وجوده في "المنطقة الرمادية" التي خلفتها حرائق الحروب الجحيمية لم يدع لديه غير رغبة بسيطة أو شهوة تروح وتجيء نحو سامية، وهي شهوة محاطة بظلام عميق يسكنه (حمودي، 2011: 31).

يقول الراوي "الأماكن جميعها رديئة ومؤذية... حتى أشجار الكالبتوس بدت معرّضة للخراب...

...كان اللهب يشعّ على أديم شطّ العرب... والعربات تمرّ مثيرةً الغبار..." (غانم، 2022: ص 34–35).

يتجلّى هنا تعميم الخراب؛ إذ لم يعد مقتصرًا على الحرب أو الموت، بل شمل الطبيعة والمدينة. حتى الأشجار (رمز الحياة) مهددة. السرد يعتمد على رؤية ذاتية تشاؤمية تجعل العالم كله فضاءً عدائيًا. هذا يعكس انتقال الرواية من تصوير العنف كحدث إلى اعتباره بنية وجودية شاملة.

**سامية: صراع الحياة والشهوة:**

تدخل سامية حياة الراوي في "قصة حب مستلبة". هي المرأة التي تحاول جذبه إلى منطقة تعتقد أنها "الحياة" من خلال عطاء الحب، نفسياً وجسدياً، بينما يحاول هو إيقافها، متشبثاً بظلامه. المثير في علاقة الراوي بسامية هو أنه يراها "مثل رمة" يتلمس عظامها؛ فإشراقتها الشاحبة تبرز عظام وجهها، ونظرتها القلقة تذكره بالبقايا البشرية التي يتعامل معها. حتى في لحظات الحميمية، تقفز إلى خاطره صور "الفكوك والجماجم"، مما يجعل لمسته ليدها نوعاً من "الضغط على العظام" الذي يستثيره بطريقة مرضية.

الطاقم الإداري للموت

تكتمل لوحة الشخصيات بمجموعة من الرجال المكلفين بحراسة الرمم:

الدكتور جبور :مدير المستودع والمسؤول الأول، وهو يمثل السلطة البيروقراطية التي تدير شؤون الموتى.

أبو قلم (موظف الأرشيف :(الشخصية التي ألحقت بالمجموعة من جهة دينية مجهولة، ووظيفته أرشفة الرفات وتصنيفها، مما يضفي صبغة مؤسساتية على فوضى القتل.

سائق الإسعاف والحفار :يمثلان الأدوات اللوجستية لنقل ودفن بقايا الحروب، وهما حلقة الوصل بين المدن المحترقة والمستودع المعزول.

الشخصية الرمزية السردية، الوظيفة الدرامية، المصدر، الراوي، الاستلاب الوجودي، رصد التحولات النفسية في زمن الموت، سامية، غواية الحياة المجهضة، تمثيل الصراع بين الحب وذكرى الفناء، أبو قلم، مأسسة الموت، إضفاء الطابع البيروقراطي والديني على الرفات، الدكتور جبور، السلطة الهشة، إدارة "المنطقة الرمادية" وحفظ البقايا.

**سردية العنف: من الحرب إلى "تراجيديا التعامل مع الجثة":**

لا يتناول وحيد غانم العنف كحدث عابر، بل كحالة مستدامة طحنت الملايين وحولت المدن إلى ركام. العنف في "أعياد الخفاش" يبدأ بعد توقف المدافع؛ إنه "عنف ما بعد الموت" المتمثل في ضياع الملامح واختلاط الجماجم. الرواية تحرض على التفكير في "ما بعد الموت"، وفي تلك المرحلة التراجيدية من التعامل مع الجثة؛ إذ يصبح الرفات مادة للبحث، أو وسيلة للتجارة، أو موضوعاً للدراسة في كليات الطب.

هذا النوع من العنف يولد شعوراً بالغيرة على "حق الجثة في البقاء قطعة واحدة". إن تفتت الهياكل العظمية وتبعثرها في أكياس معقودة يمثل القمة في "الخراب الساحق" الذي يلحق بالإنسان، إذ يُسلب

منـه حتـى اسـمه وشـكله النهـائي. العنـف هنـا لـيس دمويـاً بـالمعنى التقليـدي، بـل هـو "عنـف صـامت" يسـكن في صفير الريح وفي نظرات القوارض التي تقرض بقايا العظام (سعيد، 2009: 112).

يقول الراوي "كثيرًا ما تجاوب صدى ضحكاته في أرجاء ما تبقّى من مبنى المستودع
الذي كان عبارةً عن عدّة غرف وسقيفة قديمة متقوّضة، بينما تمتدّ إلى الجنوب
منه المقبرة القديمة فالصحراء، وقد نال يومًا ما – خلال الحروب السابقة–
أهميّةً مقرونةً بالموت الكاسح؛ إذ كانت تحفظ فيه جثث الضحايا المجهولين،
وبمـرور الأعـوام تحـوّل إلـى مكـانٍ يضـمّ رفـات وبقايـا بشـرٍ ورمـمٍ مجهولـة." (غـانم، 2022: ص 12–13).

يسـتمر هنـا توظيـف المكـان بوصـفه ذاكـرة للعنـف، إذ يتحـول المسـتودع إلـى فضـاء يجمـع بـين الحيـاة (الضـحك) والمـوت (الرفـات). المفارقـة بـين "الضـحك" و"الجثـث" تعكـس تشـوّه الحـس الإنسـاني فـي بيئـة اعتـادت العنـف. كمـا أن الامتـداد نحـو المقبـرة والصـحراء يخلـق تواصـلاً جغرافيًـا للخـراب، وكـأن المـوت بلا حدود.

**الموت كواقع سياسي مأزوم:**

تعتبـر الروايـة نتاجـاً لصـورة جلبهـا أحـد الصـحفيين يومـاً مـا لمكـان "انتـأى عـن الحيـاة". هـذا المنطلـق الـواقعي يـربط السـرد بـالواقع السياسـي المـأزوم للعـراق، إذ تحولـت الأرض إلـى "مقبـرة عظـام وجمـاجم". العنـف السياسـي يتجلـى فـي "التصـفيات والجـرائم المجهولـة" التـي تمـلأ المسـتودع بضـحايا لا هويـة لهـم. الروايـة توثـق هـذه المرحلـة الخطيـرة مـن تـاريخ المـدن، إذ صـار البحـث عـن المفقـودين "تحـت الأرض" هـو النشـاط الأساسـي للسـكان الـذين أصـابتهم لوثـة عقليـة مـن فـرط الخـراب (العـاني، 2014: 27).

يقول الراوي "طاف ذهني بين وجوههم الضائعة، وكأنهم من أُبيدوا، أُهلِكوا، طُمِروا،
غير آبهين بالقفر الذي يحيطهم.
...وأمضي متعقّبًا أثر آخرين أقحموا أنفسهم في أراضي الموتى، عابثين...
...إذ يهبون الناس صورًا مؤثّرةً بينما تخنقهم رائحة العفن التي لا تُطاق
منبعثةً من وديان الموت." (غانم، 2022: ص 20–21).

يعتمـد هـذا المقطـع علـى سـرد تـأملي نقـدي، إذ لا يقتصـر العنـف علـى القتـل، بـل يمتـد إلـى اسـتغلال المـوت إعلاميًا/تصـويريًا. عبـارة "أراضـي المـوتى" تحـوّل المكـان إلـى كيـان مسـتقل. كمـا يكشـف الـنص عـن ازدواجيـة الإنسـان: يصـنع صـورًا "مـؤثرة" بينمـا يتجاهـل حقيقـة العفـن. هنـا يظهـر العنـف كـ فعـل أخلاقـي منحرف وليس فقط مادي.

**فلسفة الخراب ودلالة العنوان "أعياد الخفاش":**

يحمـل عنـوان الروايـة "أعيـاد الخفـاش" دلالات رمزيـة عميقـة تـرتبط بـالجو العـام للعمـل. الخفـاش، ككـائن ليلـي يعـيش فـي الظـلام والأمـاكن المهجـورة، يرمـز للشخصـيات التـي "تحيـا فـي المنطقـة الرماديـة" بعيـداً عـن ضـوء الشـمس والحيـاة الطبيعيـة. أمـا "الأعيـاد" فهـي سـخرية سـوداء تشـير إلـى

احتفالية الموت والنسيان التي تقام في المستودع يومياً، إذ السيادة للقوارض والريح والخفاش الذي يرفرف أجنحته فوق الرمم.

الخراب في الرواية هو "خراب ساحق" لا يترك شيئاً على حاله. إنه يتغلغل في اللغة، وفي الزمان الذي أصبح "أبدياً وركيكاً"، وفي المكان الذي تحول إلى "خلاء مطلق". الرؤية الفلسفية لوحيد غانم تتداخل مع مفاهيم مثل "الدهر" و"الخلاء" والبحث عن "عالم مطلق" بديل عن الواقع الواقعي المأساوي (الطائي، 2016: 39).

يقول الراوي "صياحهما، وغفلا اتجاههما، فتعثّرا بالعظام المتناثرة.

تمهّلت عندما اندفع موكب الضابط... حتى انطلقت العربات مبتعدةً

يعتليها جنود وجّهوا أسلحتهم نحونا.

استدار الدكتور... وتعالى صياحهما...

كنت أصغي لتحذيرات موظف الأرشيف..." (غانم، 2022: ص 138–139).

يتجلّى هنا العنف بوصفه حالة يومية عادية؛ فالعظام المتناثرة تصبح جزءًا من المشهد العابر. وجود الجنود والأسلحة يعكس سلطة العنف المؤسسي. السرد يعتمد على التتابع الحركي السريع، ما يعزز التوتر. كما أن الشخصيات تتجادل وسط هذا المشهد، ما يدل على تطبيع العنف داخل الوعي الجمعي.

**لغة الرماد والريح الصفراء:**

تميزت الرواية بلغة "مغبرة" تسف منها ريح صفراء، لغة تجعل القارئ يشعر بأنه يلامس قحفة الرأس الناعمة. هذه اللغة ليست مجرد وسيلة لوصف الأحداث، بل هي "كينونة لغوية" صاغها الكاتب بعناية لتعبر عن "انهيار الشخصية/ الراوية". اليأس في النص يتغشى الراوي كـ "غمامة من رماد"، وهذا الرماد هو الذي يغسل ماء الحياة ويحول كل شيء إلى لون واحد رمادي (إبراهيم، 2003: 11).

يقول الراوي "حيث الدم والغضب يمضيان يدًا بيد، الموت والمجد عبر الأرض...

...سفن الطواعين السود وأحلام المستكشفين...

...كان يغنّي، بينما يلمع العرق والغبار على جبينه..." (غانم، 2022: ص 140–143).

ينتقل السرد هنا إلى مستوى رمزي تاريخي، إذ يُربط العنف بالحضارة البشرية (الاستكشاف، الطواعين). الجمع بين "الموت" و"المجد" يكشف ازدواجية الخطاب الإنساني. كما أن الغناء وسط هذا السياق يخلق تناقضًا مأساويًا، إذ يصبح العنف خلفية دائمة حتى في لحظات الجمال.

| الرمز السردي | الدلالة في الرواية | المصدر |
|---|---|---|
| الخفاش | كائنات الظلام، الاستلاب، والعيش في الهامش | اعياد الخفاش |
| الريح الصفراء | الدمار الشامل، الغبار الذي يغطي الحقيقة، والقسوة | اعياد الخفاش |

| الرمز السردي | الدلالة في الرواية | المصدر |
|---|---|---|
| الأكياس المختومة | مأسسة الموت، ضياع الهوية الفردية، والرفات المنسي | اعياد الخفاش |
| المنطقة الرمادية | البرزخ بين الحياة والموت، والحالة النفسية ما بعد الحرب | اعياد الخفاش |

**التداخل بين الحياة والموت: علاقة شائكة وملتبسة:**

في رواية "أعياد الخفاش"، تتعانق الحياة مع الموت في علاقة ملتبسة يسكنها الهوس. الراوي المسكون بتخيلات الموتى يجد صعوبة في التمييز بين ملمس جسد سامية وملمس العظام التي يحرسها. هذا التداخل يمثل ذروة "سردية العنف"، إذ يصبح العنف جزءاً من الوعي الحسي للبشر، إذ لا يدركون الجمال إلا من خلال "الفكوك والجماجم."

سامية تحاول جذب الراوي إلى منطقة "الحياة" من خلال عطاء الحب، ولكن محاولاتها تصطدم بجدار من الظلام العميق. هذا الصراع يعكس رؤية وحيد غانم بأن الخراب الذي تخلفه الحروب ليس مادياً فحسب، بل هو "حرائق جحيمية" تأتي على القدرة على الحب والتواصل الإنساني. الشخصيات الأخرى أيضاً تحيا في "رغباتها الخاصة" التي تهدد المستودع، مما يوحي بأن الخراب ينتقل من الرفات إلى الأحياء الذين يحرسونها (الربيعي، 2012: 105).

يقول الراوي "بعد أن أحكمتُ إغلاق باب الحجرة... مؤكدًا هاجسي من تزايد أعداد اللصوص والقتلة...

...كانت نظرتها ترتعش في مخيلتي، لامعةً ومؤذية...

...تشبّعت أنفاسي برمادها..." (غانم، 2022: ص 12).

يُظهر هذا النص العنف النفسي الداخلي، إذ يعيش السارد حالة خوف دائم. لم يعد العنف خارجيًا فقط، بل أصبح هاجسًا وجوديًا. "الرماد" هنا رمز لآثار الخراب التي تسكن الذاكرة. السرد ذاتي، يعتمد على الاستبطان، ويكشف عن تأثير العنف في تشكيل الوعي الفردي.

**أنسنة الرفات وتسليع الموتى:**

تتحول البقايا البشرية في الرواية إلى "كنز وشيء ذا قيمة" لجهات مختلفة:

التجار :الذين يرون في الرفات سلعة قابلة للمقايضة.

أهالي المتوفين :الباحثون عن بقايا ذويهم لاستعادة جزء من هويتهم المفقودة.

طلاب الطب :الذين يحتاجون للعظام للدراسة الأكاديمية.

منظمات حقوق الإنسان :التي تحاول توثيق الجرائم عبر الرفات.

الضواري والكلاب الجائعة :التي تشارك البشر في صراعهم على هذه البقايا في ذلك المكان النائي.

هذا "التسليع" يمثل شكلاً آخر من أشكال الخراب، حيث يفقد الموت قدسيته ويتحول إلى مادة للاستغلال والمطامح الشخصية (الكبيسي، 2017: 71).

**الخصائص الأسلوبية والبناء السردي:**

تعتمد الرواية على "صوت واحد" هو صوت الراوي/البطل الذي يمتلك معرفة كاملة بالشخصيات وتخيلاتهم. هذا الاختيار السردي يسمح بتصاعد وتيرة الأحداث وديمومتها، مع تداخل حوارات الأحياء مع الأموات. وحيد غانم يستخدم تقنيات "الإيهام والاسترجاع وتداخل الأزمنة"، مما يمنح السرد مرونة وقدرة على استيعاب البنى المعقدة للحكاية.

الرواية مكتوبة بـ "لغة ساحرة وعميقة وفلسفية"، وهي لغة تهيم في ملكوت يضم لغات العالم وسحرها. السرد لا يتشظى، بل يظل مرصوصاً بعناية في "سلم موسيقي شجي"، مما يجعل النص وحدة واحدة متماسكة رغم قسوة الموضوع. المؤلف انطلق من نقطة تحديد موقف من الدمار الذي لحق بالعراق، وهو موقف يحسب له تجاه التقلبات الأيديولوجية والدينية المريبة (عبد الله، 2018: 66).

**المقابلة بين الحاضر والماضي:**

يبرز في النص تقابل حاد بين الحاضر المنهار والماضي المفقود. هذا التقابل يظهر من خلال الأمكنة (مثل "خربة الأحلام") والشخصيات التي تمثل أصواتاً مثقفة اعتزلت الناس بعد أن تم إسكاتها. الرواية تجسد "نموذج المنبوذ" الذي يحول تجربة النبذ والعيش خارج الحدود إلى نموذج إنساني يتأمل في مصير البشر.

الرواية تقدّم العنف بثلاث مستوياتعنف كوني/حربي (الجيوش، الصحراء، الإشعاعات)، وعنف مكاني (المستودع، المقابر، الخراب الممتد)، وعنف جسدي مباشر (الجسد المحروق)، والسرد يمزج بينالواقعية القاسية والهلوسة الرمزية لعالم تتلاشى فيه الحدود بين الحياة والموت، ويصبح الخراب هو الحالة الطبيعية للوجود. والنصوص المختارة تعزّز أن الرواية تقدّم العنف بوصفهمحيطًا شاملًا (مكان، تاريخ، ذاكرة) وحالة نفسية (خوف، هاجس، تبلّد)، وسلوكًا اجتماعيًا (استغلال الموت، التعايش معه).

**الاستنتاجات:**

"أعياد الخفاش" كوثيقة للخراب الوجودي تعد رواية وحيد غانم خطاباً أدبياً رفيعاً عن "الخراب الساحق" الذي لا يكتفي بهدم الجدران، بل يهدم الكينونة الإنسانية من الداخل. من خلال سردية العظام والجماجم والمستودع المعزول، نجح الكاتب في توثيق مرحلة خطيرة من تاريخ المدن التي تحولت إلى مقابر، مقدماً رؤية فلسفية للموت لا تراه كنهاية، بل كحالة برزخية تستمر فيها تراجيديا الإنسان.

إن الشخصيات المستلبة، واللغة المغبرة بالرماد، ورمزية الخفاش التي تسكن الظلام، كلها عناصر تضافرت لتصنع نصاً إبداعياً يتجاوز المحلية ليطرح تساؤلات كونية عن المصير النهائي للبشر في ظل العنف المستدام. وحيد غانم في هذا العمل لا يكتب عن الموت فحسب، بل يكتب عن "حق الجثة في الوجود" وعن الحب الذي يحاول الانبعاث من تحت الركام، حتى لو انتهى به الأمر ليكون مجرد "شهوة تروح وتجيء" في منطقة رمادية لا ترحم.

تظل الرواية صرخة في وجه النسيان، ومحاولة جادة لاستعادة ملامح الرفات التي ضاعت في غياهب الأرض، مؤكدة أن "الخراب" الحقيقي ليس في الموت ذاته، بل في فقدان الإحساس الإنساني بالآخر، حياً كان أو ميتاً. إنها رواية "الرمم والعظام" التي تجعلنا نتحسس قحف رؤوسنا، خائفين وراغبين في آن واحد، في أن نجد مكاناً يحفظ بقايانا من ريح الصحراء الصفراء.

**المصادر والمراجع:**


1. إبراهيم، عبد الله. (2003). السردية العربية: بحث في البنية والدلالة. بيروت: المركز الثقافي العربي.
2. إسماعيل، محمد السيد. (2023). سرديات الانتهاك كما تجلت في الرواية العراقية الحديثة. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات .
3. حسن، عبد علي. (2024). فضاءات العنف السردي في الرواية العراقية المعاصرة. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة .
4. حمودي، عبد الله إبراهيم. (2011). السردية العربية الحديثة: بنية النص ودلالاته. بيروت: المركز الثقافي العربي.
5. حميد، حسين عبود الياللي، و كاطع، أكرم علي. (2020). الزمن في المنجز الروائي لوحيد غانم: دراسة سردية. البصرة: جامعة البصرة .
6. الربيعي، فاضل ثامر. (2012). المرايا المتقابلة: دراسات في الرواية العربية. بغداد: دار المدى.
7. سعيد، ياسين النصير. (2009). الرواية العراقية: تحولات السرد والواقع. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
8. الطائي، عبد الجبار عباس. (2016). تحولات السرد في الرواية العراقية بعد 2003. بغداد: دار المدى.
9. العاني، قاسم محمد. (2014). العنف في الأدب العربي المعاصر. عمّان: دار صفاء للنشر والتوزيع.
10. عبد الرحمن، لنا. (2015). الرواية في مواجهة العنف. القاهرة: دار العين للنشر .
11. عبد الله، محمد خضير. (2018). السرد العراقي المعاصر: مقاربات نقدية. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
12. العزاوي، فاضل. (2010). الذاكرة والسرد في الرواية العراقية. بغداد: دار المدى.
13. غانم، وحيد. (2022). أعياد الخفاش. الشارقة: منشورات غاف.
14. الفواز، علي حسن. (2021). سرديات الانتهاك في الرواية العراقية. بغداد: بيت الحكمة.
15. الكبيسي، عبد الله حسين. (2017). تمثيلات العنف في السرد العربي المعاصر. عمّان: دار المسيرة.

**المستخلص باللغة الانكليزية**

**Narratives of Violence and Ruin in the Novel Bat Festivals by Waheed Ghanem**

**Asst. Lect. Muntadhar Majid Karim**
**University of Sumer – College of Medicine**
**MuntazerMajid@uos.edu.iq**

**Abstract:**
This study examines Wahid Ghanem's novel "The Feasts of Bats" as a narrative text reflecting a reality fraught with violence and devastation. It focuses on analyzing how these themes manifest within the novel's narrative structure, whether at the level of setting, characters, or language. The research problem stems from questions about the mechanisms of representing violence: is it merely a reflection of reality or a deliberate artistic construct? It also explores the narrator's role in shaping a bleak

worldview, where reality and imagination intertwine in depicting scenes of destruction. The study's significance lies in its shedding light on a contemporary text that reflects profound human transformations. It aims to uncover the aesthetic and semantic dimensions of violence and devastation in the novel. Furthermore, it seeks to analyze the relationship between memory and place in producing this crisis-ridden discourse. The study concludes that the novel presents violence as a comprehensive existential condition, not limited to the event itself but extending to human consciousness.

Keywords: Narratives, Violence, Devastation, Bat Feasts, Wahid Ghanem.

---